مقدمة

شوارع أى مدينة كتاب مفتوح يروى تاريخ هذه المدينة ، وربما تاريخ الوطن كله . واللافتات التى تحمل أسماء الشوارع هى صفحات هذا الكتاب . وربما لهذا السبب أحرص على قراءة لوحات أسماء الشوارع فى كل مدينة أزورها ، حتى ولو كانت على شواطىء المحيط . . أى محيط فى المشرق أو غرب الدنيا . .

وفى مصر لم تكن هناك أسماء للشوارع حتى عهد محمد على باشا ، بل كانت هناك أحياء أو مناطق تحمل أحيانا اسم القبيلة التى عاشت فيها فى البداية . أو « منطقة » يتجمع فيها أرباب حرفة معينة ، أو صنعة . . وأحيانا تحمل اسم صاحب قصر كبير أقيم فى منطقة ما مثل « عابدين » الذى حمل اسم عابدين بك حتى عندما اشتراه الخديو إسماعيل ليبنى على موقعه وأرض أخرى مجاورة قصر الحكم الذى مازلنا نعرفه فى قلب القاهرة . وانتهى قصر عابدين بك القديم ولكن بعد أن حفر اسمه على حى وميدان بالكامل .

وكذلك الأمير المملوكى « أوزبك » الذى تحمل منطقة الأزبكية ـ ومن قبلها البركة أو البحيرة ـ اسمه . فقد انتهى عصر المماليك والبكوات ولكن ظل الاسم على أهم مناطق وسط العاصمة المصرية ومن أهم أحيائها .

* ونفس الشىء فى أسماء المدن : ففى مصر : الإسماعيلية « الخديو إسماعيل » وبورسعيد « ميناء سعيد باشا رابع ولاة مصر من أسرة محمد على » وبور توفيق « الخديو الذى خان الأمانة وسلم مصر للانجليز عام ١٨٨٢ » وكذلك حى العباسية الذى بدأ تعميرها أيام عباس الأول ثالث الولاة من نسل محمد على باشا . وتوسعت فى عهد آخر خديوى لمصر : عباس حلمى الثانى الذى عزله الانجليز عام ١٩١٤ . .

كما نجد بورفؤاد ـ ميناء الملك فؤاد ـ على الضفة ـ الشرقية لقناة السويس أمام بورسعيد .

** وإذا كان محمد على باشا هو أول حاكم لمصر يصدر مرسومًا بتحديد أسماء الشوارع . . وأيضًا بتركيب لافتات تدل عليها وأرقام لكل مبنى . فإن أحياء القاهرة مثلاً كانت تحمل أسماء مشهورة خصوصًا القاهرة المُعزية حول القصر الكبير ـ حيث مقر الخليفة الفاطمي مثلاً . .

** إذا كانت كل دول أوربا تطلق أسماء زعمائها وكبار شخصياتها لتخليدهم كل يوم، وتذكير الناس مقيمين وزائرين بتاريخهم فإننا نجدهم فى الولايات المتحدة يتحون طريقًا آخر هو الأرقام . نعم هناك أسماء لأبطال وقادة أمريكان أطلقت على الشوارع الهامة فى العاصمة الاتحادية واشنطون بالذات ، كما أطلقوا أسماء الولايات الأولى التى تكونت منها الدولة الاتحادية عقب الاستقلال ، إلا أن الأرقام هى الغالب فى أسماء الشوارع . . وهذا أوضح ما يكون فى نيويورك وفى معظم المدن الكبرى . . وإن كان الوضع يختلف فى ولايات الجنوب التى ترى فيها أسماءً فرنسية وأسبانية ومكسيكية بسبب خضوع بعض تلك الولايات لمد وجزر وللحكم الفرنسى أحيانًا والأسبانى أحيانًا أخرى . . وهذه الظاهرة أبرز ما تكون فى ولاية لويزيانا نفسها « نسبة إلى الملك الفرنسى لويس » وعاصمتها نيو أورليانز . وفيها نجد أسماء بونابرت وأوجينى وتاليران وهكذا . . حتى أننا نجد الحى اللاتينى فى عاصمة الولاية وهو حى المرح والبهجة والسياحة والليالى الملاح والمقاهى . . تمامًا كما فى الحى اللاتينى فى باريس .

والغريب أننا فى مصر سلكنا المسلك الرقمى فى شوارعنا ولكن فى ضاحية واحدة هى المعادى . . وإذا كانت أمريكا لجأت إلى « الأرقام » فإنما ذلك بسبب قصر عمرها التاريخى أى قلة عدد أبطالها القوميين الذين يستحقون إطلاق أسمائهم على الشوارع . فهى شعب بلا تاريخ فهل نحن كذلك فيما يتعلق الأمر بضاحية المعادى ؟ . . أم ترى لأنها بدأت كمشروع غربى !!

** ولأننا شعب له تاريخ . . فإننا نهتم بالشوارع وتسميتها بأبطالنا القوميين ، قديمًا وحديثًا . بل ونطالب بإعادة النظر فى أسماء شوارعنا لتنقيتها مما هو غريب . ولكن على أساس علمى . أى تتولى ذلك لجنة علمية فيها من أساتذة التاريخ ، وفيها من يعلمون عظمة هؤلاء الرجال .

وما دمنا اتفقنا على أن الشوارع خير شاهد حى على التاريخ ، تعالوا نغوص فى أعماق التاريخ . نشرح للناس تاريخ صاحب كل شارع . ولماذا وضعناه حيث يجب . .

** تعالوا نقرأ تاريخ مصر من خلال أسماء شوارع مصر . . أو بمعنى أكثر دقة . تعالوا نعيد الذاكرة لعقل شعب مصر ، تعالوا ننبش تاريخ الأمة المصرية ، وليعرف جيل هذا الزمان عظمة رجال أيام زمان . .

وقبل أن نبدأ حكاية « شوارع لها تاريخ » هناك ظواهر عديدة فى مصر يجب أن نضعها فى الاعتبار . مثلاً شوارع القاهرة الفاطمية المعزية التى أصبحت حاضرة «الدولة أو الخلافة الفاطمية الشيعية» وتنافس دولة الخلافة العباسية السنية فى بغداد ، والأموية السنية أيضا فى الأندلس . . شوارع القاهرة الفاطمية هذه لم تحمل أسماء أشخاص . . ولكنها حملت أسماء مهن أو حرف أو تجارة وصناعة . وهى لم تأت اعتباطاً . ولكنها جاءت صورة من الواقع . فالذين اختطوا القاهرة الفاطمية راعوا تركيز أصحاب الحرف كل حرفة فى شارع أو منطقة . . وهكذا وجدنا على مرمى البصر من القصر الكبير حيث مقر الخليفة شوارع النحاسين « أى باعة الأوعية النحاسية فى الأساس وليس صناعتها » والصناديقية » وهم باعة الصناديق التى كانت تمثل مهمة الدولاب » أى لحفظ الملابس والغالى من الأشياء . وكانت العروس يقاس غناها بعدد الصناديق التى تحملها الدواب من بيت والدها إلى بيت « العَدَل » أى الزواج . وكانت تصنع من أخشاب متنوعة منها الغالى المستورد من جبال لبنان ، أو من الأناضول واليونان ومنها الخشب المحلى الذى تتندر عليه باسم « الخشب القباقيبى أى الخشب الذى يصنع منه القبقاب !! ثم منطقة أو حى أو شارع « الفحامين » وفيه تركز تجارة الفحم الذى كان صنعة هامة للمصريين ثم «الخيامية» وهم صناع وباعة الخيام بحكم توفيرها للبدو ومن يسكنون على حواف المدن . أو للاحتفالات والأسمطة التى كان يقيمها الخليفة أو الحاكم ، والوالى فى المناسبات . وكانت فناً رفيعاً أهدرناه الآن للأسف بعد أن تحول من فن للتطريز اليدوى إلى «طبع» على القماش كما نراه الآن .

. . وعلى هذا المنوال نجد «المغربلين» وهذه كانت حرفة نشطة بحكم اتساع تجارة الحبوب . فقد كان هناك من يتولى «غربلة» الحبوب بواسطة «الغربال» . بهدف تنظيفها

مما بها من شوائب . ثم «الكحكيين» أى باعة الكحك وصناعه ، حتى السلاح كانت له سوقه المشهورة ومازال الاسم قائماً حتى الآن . . وعلى نفس المنوال حى العطارين فى الاسكندرية مثلاً .

. . الملاحظة الثانية أن وسط القاهرة غرب ميدان العتبة وجنوبه منطقة حديثة نوعاً ما . وهى المنطقة التى بدأ تخيططها فى عهد الخديوى إسماعيل وهى الواقعة بين الأزبكية وحتى أول بولاق من ناحية . . ومن الفلكى وباب اللوق حتى ميدان الإسماعيلية «التحرير الآن» هذه المنطقة تحمل الآن أسماء زعماء وقادة العمل السياسى فى مصر على امتداد ١٥٠ عاماً وهى أسماء كان لها دورها الفعال فى أخصب فترات النضال السياسى المصرى : مثل شريف وعدلى وثروت ورشدى ومصطفى كامل ومحمد فريد وأحمد عرابى . . كما حملت أسماءً ملكية مثل شوارع فؤاد «٢٦ يوليو حالياً» وفاروق «الجيش حاليا» والملكة نازلى «رمسيس حالياً» ، وتوفيق والتوفيقة «وأحمد عرابى» وسليمان باشا «الفرنساوى» أركان حرب الجيش المصرى أيام محمد على والآن «طلعت حرب» .

. . الملاحظة الثالثة أن هناك ساسة تولوا الحكم كرؤساء وزارات ووزراء كبار لم نر أسماءهم على الشوارع ربما بسبب دورهم الذى رفضه الشعب مثل إسماعيل صدقى وبطرس غالى وعلى ماهر وإبراهيم الهلباوى . . وهل ينسى الناس مذبحة دنشواى ودوره فى محاكمة أبطالها بينما وجدنا شارعاً هاماً باسم نوبار باشا الأرمنى الأصل وأول رئيس وزارة فى مصر «رئيس النظار» من هنا فإن الشعب لايرحم ، يمجد من يستحق ، ويهيل التراب وتلال النسيان على الذى أساء لمصر . .

. . الملاحظة الرابعة أن هناك أسماء أطلقت للمجاملة . مثل شارع عبد العزيز الذى يخرج من ميدان العتبة التى كانت خضراء والآن العتبة الأسفلتية !! وبالمناسبة كانت قبل الخضراء اسمها «العتبة الزرقاء» . . وسنعود إلى ذلك . . هذا الشارع شقه ورصفه الخديو إسماعيل وأطلق عليه اسم السلطان العثمانى عبد العزيز عندما زار مصر . ولأن إسماعيل كان يسعى للكثير من المزايا فلم يستنكف أن يمسك بلجام الخيول الخديوية التى كانت تجر عربة الخديو التى كان يستقلها السلطان . . عبد العزيز .

تماماً كما أن هناك أسماء : إيران ومصدق ودارا وقمبيز وقورش . وبهلوى عندما كانت مصر وإيران تربطهما المصاهرة بزواج أميرة مصر فوزية بنت الملك فؤاد من ولى عهد إيران وقتها : محمد رضا بهلوى . .

ومصر هى بلد الغرائب بأى مقياس . ولأن الشوارع هى واجهات المدن فإنها تعبر عن هذه الغرائب بشكل عملى . تعالوا نطوف بشوارع وحوارى وأزقة مصر لنتعرف على جانب من هذه الغرائب التى نراها معلقة على الشوارع والأزقة والحوارى . ومصادرنا هنا الجولات الميدانية التى قمت بها ، ومازلت . فضلاً عن تجول بين أمهات الكتب وبالذات التى تتناول الخطط وفى مقدمتها خطط المقريزى . والخطط التوفيقية والخرائط وأيضاً كتب الرحالة .

. . بداية هناك شوارع تحمل أسماء وجبات غذائيةأو حيوانية فنجد فى القاهرة المعزية شوارع : حوش الحمص . عطفة الحمصانى . بئر الحمص . معمل الفراخ . الفراخة . عطفة قفص الوز . عطفة الماعز . شارع ضلع السمكة . شارع خميس العدس .

وتجد شوارع وأزقة تحمل أسماء الحرف القديمة : شارع السيارج ـ التمار ـ من التمر ـ السقائين . الخضرية . درب السماكين : درب المبلط ـ درب المزين . درب الدهان ـ والمقصود هنا ليس بائع الدهن من اللحم ولكنه بائع الدهن أى العطور !! شارع الصوافة . الفحامين . الفوطية «صناع الفوط» «القربية» «صناع القرب» للسقائين . . اللبودية أى صناع اللبد . الوراقين أى تجار الورق والكتب . والقطانين . حارة العرقسوس وعطفة المخللاتية!!

. . وهناك شوارع وأزقة تحمل أسماء : سوق الزلط . سوق العصر . سوق التلات . سوق البقر . شارع البغالة . وإذا كان هذا مقبولاً فماذا نقول فى شوارع وأزقة وحوارى تحمل اسماء : عطفة شق الثعبان . وحارة التمساح . بل وشارع عزرائيل !! وحارة القتل وحارة القتيل وحارة القتيلة !! وحارة قلعة الكلاب .

وشارع بين النهدين وشارع أبى الليف . وحارة الزير المعلق والسبع قاعات وكلها حول شارع الموسكى وشارع الخليج والدرب الأحمر

. . ولأن للمصريين ولعاً شديداً بالطعام وما يؤكل أو يشرب نجد أسماء : حارة النبقة رغم أن فاكهة النبق تكاد تختفى من مصر الآن مع أشجار التوت والتين أى الجميز وإن وجدنا شارع درب الجماميز . ثم عطفة البرقوقية . عطفة بطيخة . عطفة الخوخة . عطفة الجلاب . أما الأكثر غرابة فهو فى حارة الدودة !! وعطفة البردعة . وعطفة الخمارة !! وعطفة الحوش الخربان . . وخوخة العطارين . وسوق الخفافين أى باعة خفاف النساء ونعالهن وفيه أيضا كان يسكن باعة هذه الخفاف أى جمع خف وهل ننسى الفجالة وشارع وحى الفجالة !!

. . ومن غرائب الأسماء نجد متفرعاً من شارع الخليج المصرى : شارع قنطرة الذى كفر ومنه شارع الحين وهذا الشارع حكاية فهو يبدأ من ميدان بجوار قنطرة الخليج وينتهى عند شارع ضلع السمكة بقرب تكية النقشبندية . وأنشأ هذا الشارع الأمير يوسف الشهير بالحين فى القرن التاسع الهجرى وقبالته كان هناك جامع الحين ، وأمامه كانت هناك قهوة صغيرة تعرف بقهوة الحين ، وكان يجلس عليها حانوتية الموتى ومطيبوا العوالم وقد زالت هذه القهوة عند فتح شارع محمد على وأنشىء محلها قهوة كبيرة لها بابان أحدهما يتجه إلى الجامع والآخر بشارع محمد على . واستمرت هذه القهوة الجديدة مقرا لجلوس الحانوتية والمطيبين وهى من ضمن المبانى التى أقامها الأمير حسن باشا الشريعى . وعند إنشاء وفتح شارع محمد على قسم الشارع القصر إلى قسمين .

. . ولأن القاهرة كانت محاطة بأكثر من سور لحمايتها كان لابد من إنشاء أبواب يدخل ويخرج منها الناس ، لهذا وجدنا أبواباً تحولت إلى شوارع وإلى ميادين مثل : شارع باب البحر ـ من ناحية باب الحديد ـ وشارع باب الخرق الذى تحول إلى ميدان باب الخلق . وشارع باب الشعرية الذى تحول إلى ميدان باب الشعرية . وشارع باب زويلة . بل ووجدنا شارع بين السورين . اى السور القديم الذى بناه جوهر الصقلى منشىء القاهرة ، وسور بدر الجمالى الذى استنجد به الخليفة الفاطمى لحمايته وحماية القاهرة وإعادة الأمن والاستقرار إلى العاصمة . .

وإذا وجدنا درب العجان فلا غرابة أن نجد درب العسال . . ثم درب الفرن ودرب القمح !!

. . وعلى طريق إنعاش ذاكرة الأمة ، أو إعادة الروح للذاكرة الوطنية وقبل أن نغوص فى معانى أسماء شوارع مصر ، نستكمل ما بدأناه من ملاحظات عامة حول أسماء شوارع وأحياء مصر . .

. . مثلاً يجب أن نلاحظ «تحرك» النشاط التجارى فى القاهرة وأثر ذلك فى تطور أسماء الأحياء والشوارع ففى فترة معينة تركز النشاط التجارى فى القاهرة المعزية : فى الحمزاوى والغورية والأزهر وعلى طول شارع المعز ، الشارع الأعظم .

ثم مع إعادة تخطيط ميدان العتبة وشق شوارع جديدة مثل شارع عبد العزيز والموسكى والشارع الصاعد إلى باب الشعرية ، ثم شق شارعى محمد على وكلوت بك . . انتقل النشاط التجارى أو تحرك «الوسط التجارى» إلى العتبة وما حولها . وأصبحت هى «صرة مصر» تتفرع منها الشوارع الرئيسة وخطوط الترام والأتوبيس والترولى . ولهذا كان فيها كل المناطق الأساسية : البوسطة العمومية . المطافى الرئيسية . المسارح . سوق الخضر والفواكه . ووجدنا المحال المصرية الكبيرة . فى عمارة « تيرنج» : «المصرى أفندى وفى شارع عبد العزيز نجدمحلات عمر أفندى . وصيدناوى فى ميدان الخازندار وهو نموذج طبق الأصل من محلات لافاييت فى باريس . ومحلات ٥٠ ألف صنف وهكذا

. . ومع تخطيط القاهرة الحديثة أيام الخديو إسماعيل وما بعدها وشق شوارع جديدة فيها حول باب اللوق التى كانت ملعبا وساحة للرياضة فى عصر المماليك . ثم منطقة وسط القاهرة الحالية ، وشق الشوارع العصرية مثل شوارع فؤاد وشريف وقصر النيل وسليمان باشا والألفى وعدلى وثروت . . مع إنشاء هذه الشوارع على نمط الشوارع الباريسية ، تحركت منطقة النشاط التجارى للمرة الثالثة وانتقلت من العتبة إلى الشوارع الحديثة هذه ، وهكذا وجدنا الشوارع الجديدة تعج بالنشاط التجارى وانتقلت لها فروع المحلات الكبرى والبنوك وغيرها . . . . وبسبب ازدحام الوسط التجارى الجديد ، بعد أن تجاوز عدد سكان العاصمة الملاين العشرة ، ومع صعوبة «التسوق» واختناق السوق حدث «التحرك الرابع» لأسواق القاهرة أى انتقل الثقل التجارى إلى الضواحى ، بعد أن تشعبت العاصمة وامتدت : فوجدنا سوقاً مركزياً فى ضاحية مصر الجديدة . وبالذات فى منطقة روكسى ، كما وجدنا سوقاً مركزيا ناشئاً جديداً

ولكن فى غرب النيل هذه المرة . . وهو السوق التجارى حول نادى الزمالك وشارع جامعة الدول العربية وما يتفرع منه فى شوارع حى المهندسين الجديد أى تفرع النشاط التجارى إلى مصر الجديدة فى شرق القاهرة . ثم فى غربها وأخيراً ، وليس آخراً ، فى مدينة نصر وبالذات حول شارع عباس العقاد وهذا التوزيع والانتشار أمر طبيعى بسبب اتساع مساحة العاصمة وتضخم عدد سكانها . وتحول القاهرة الى «المدينة المتروبوليتان» أى متعددة الضواحى ، المترامية الأطراف .

. . ومع نشوء الضواحى حول العاصمة المصرية نشأت أحياء جديدة وهذه أخذت أسماء جديدة . . ولنا هنا عدة ملاحظات .

ففى المهندسين التى نسميها أحيانا مدينة المهندسين ، وأحيانا حى المهندسين ، يجب ان نعود إلى اسمها الأصلى والحقيقى . . وهى مدينة الأوقاف لأن كل هذه الأرض كانت ـ وما زالت ملكا للأوقاف !! وفى هذه المدينة نجد ظاهرة جديرة بالتوقف عندها ـ ذلك أن أشهر شوارعها بل وأعرض وأطول شارع فى القاهرة الكبرى ـ بعد صلاح سالم ـ نجد شارعاً يحمل اسم شارع جامعة الدول العربية . وحوله تتفرع شوارع تحمل أسماء لدول أو مدن عربية مثل : السودان . سوريا . لبنان . الحجاز . دمشق . عمان . الجزائر . جزيرة العرب . وادى النيل . الفرات فهل جاءت هذه الأسماء بناء عن مخطط مرسوم . . أم رمية من غير رام ؟!

. . وفى ضاحية مصر الجديدة التى حملت لفترة اسم : ضاحية هليوبوليس وحملت عندما أنشأها البارون إمبان فى بداية القرن العشرين اسم «واحات عين شمس » فى هذه الضاحية بسبب غلبة العنصر الأجنبى على سكانها وجدنا أسماء غربية تطلق على شوارعها وميادينها مثل روكسى . تريومف . البارون ، سانت فاتيما ولكن بعد خروج نسبة كبيرة من سكانها الأجانب ـ وفى أعقاب عملية التمصير منذ أوائل الستينيات . . وجدنا الأسماء العربية تفرض نفسها على الضاحية البلجيكة النشأه مثل شوارع : عمربن الخطاب . أبو بكر الصديق . عثمان بن عفان . العروبة . هارون الرشيد . الكربة . غرناطة . الخليفة المأمون . والإمام على . الحجاز فهل جاءت هذه التسميات اعتباطاً أم جاءت لتعيد للضاحية وجهها المصرى العربى ؟

. . على كل حال . . كانت هذه مقدمة لابد منها قبل أن نغوص فى معانى شوارع مصر لننعش ذاكرة الأمة ، ونقدم للجيل الجديد تاريخ مصر حياً نابضاً من خلال استعراضنا لشوارع لها تاريخ .

عباس الطرابيلى

العجوزة : شوال ١٤١٦ هـ

مارس ١٩٩٦م